كامل كيلاني

قالت شهرزاد



أسرارُ "عمّار"

قالتْ « شَهْرَزادُ »

بقلم :

كامل كيلانى

ليس فى الشرْق ولا فى الغرْب ، من يُنافس «شهْرَزادَ» فى ميزاتها النّادرَةِ ، فقد سجّل لها التاريخُ ـ فيما سجّله من مَزاياها الباهرَةِ ـ أنها أقْدَرُ مُحَدِّثَة ، وأبرعُ راويَةٍ للقصص ؛ بعد أن استطاعت ـ بفضْلِ عبْقَرِيَّتها فى هذا المضمارِ ـ أن تُنْجِيَ رأسَهامن السَّيْفِ ألفَ مرّة ومرّة ، فى «ألْفِ ليلةٍ وليلة» ! ..

وقد بُعثت « شهْرَزادُ » فى هذه المجموعة من القصَص ، لِتُسامِرَ النّاشئَةَ الحديثةَ بفُنونٍ من القصص ، تسْحَرُ القارئَ الصغيرَ بطلاوَتها ، وتَبْسُط له أمْثلةً طيِّبة من مَكارِمِ الأخلاقِ ؛ فيشبُّ قارئُها ، وقد انطبعتْ نفسُه على حُبِّ الفضيلة ، وإيثارِ الخيْر .

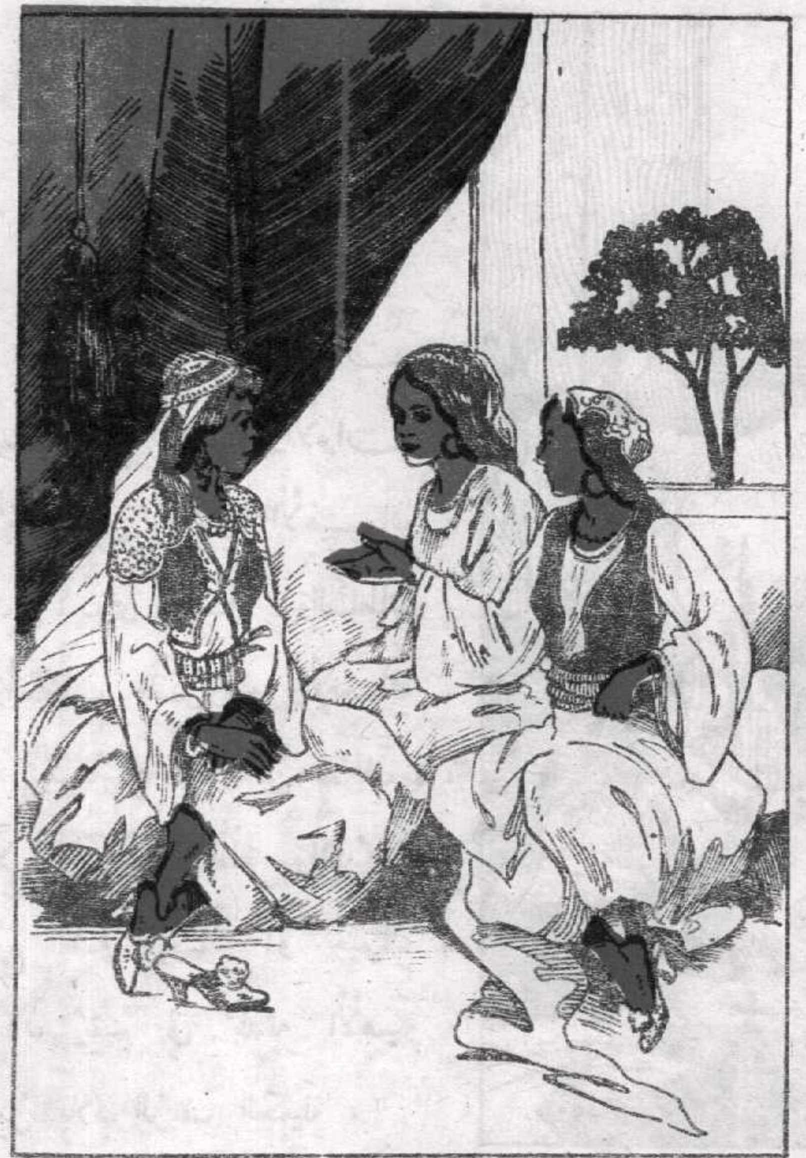
وهذه المجموعةُ هى ألْمَعُ جوْهرةٍ فى عِقْد القصصِ العربية ، تنْقُلُ القارئَ بين أجْواء الشّرْقِ وأحلامه ، وأخْيلَته العامرةِ بأسْباب البهْجة .

شغفَتْ أمْرَ الناطقيـن بالضّاد ، فأقبلوا عليها ..

وفتنت الأمَمَ الغربيَّةَ ، فترجمتْها إلى لُغاتها ..

وها هى ذى تتجلّى فى أسْلوبِ «الكيلانىّ» ، السّهْلِ المُمْتَنِعِ : بديعةَ الإخراجِ ، مُهَذَّبَةَ الحَواشي ، رفيعةَ الأهداف ، ناطقَةَ الشخصيّات .. تُخيِّل لقارئِها أنه يعيشُ مع أبطالِها ، ويُشارِكُهم فى آمالِهم وأحلامِهم ، فيَمضي فى مُطالعتِها ، مُشتاقًا إلى المَزيدِ دائمًا .

دار مكتبة الأطفال



١

أحاديث « آزاد »

فِي عَصْرِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، اِجْتَمَعَتْ لُمَّةٌ مِنَ الصَّدِيقَاتِ ، كَانَتْ بَيْنَهُنَّ الصَّدِيقَةُ : « شَهْرَزَادُ » ، وَهِيَ بِنْتُ الْوَزِيرِ : « آزادَ » .

أَخَذَتْ لُمَّةُ الصَّدِيقَاتِ الْعَزِيزَاتِ تَتَبَادَلُ بَعْضَ الْقِصَصِ الْمُسَلِّيَاتِ ، وَتَتَنَاقَشُ فِي شُئُونٍ مُخْتَلِفَاتٍ .

اَلصَّدِيقَاتُ الْعَزِيزَاتُ طَلَبَتْ مِنْ صَدِيقَتِهِنَّ « شَهْرَزَادَ » أَنْ تَحْكِيَ لَهُنَّ حِكَايَةً مِنَ الْحِكَايَاتِ .

اِسْتَجَابَتْ « شَهْرَزَادُ » بِنْتُ الْوَزِيرِ « آزادَ » لِمَا تَطْلُبُهُ الصَّدِيقَاتُ . وَبَدَأَتْ تَقُولُ :

« سَأَحْكِي لَكُنَّ يَا صَدِيقَاتِي حِكَايَةً طَرِيفَةً : حَكَاهَا لِي أَبِي ذَاتَ لَيْلَةٍ . لَقَدْ تَعَوَّدَ أَبِي أَنْ يَجْلِسَ مَعِي ، فِي بَعْضِ اللَّيَالِي ، لِلْمُؤَانَسَةِ وَالْمُسَامَرَةِ . تَعَوَّدْتُ مِنْ أَبِي فِي تِلْكَ الْجَلَسَاتِ ، أَنْ أَسْتَمْتِعَ بِأَحَادِيثِهِ الْمُؤْنِسَاتِ . حِكَايَاتُهُ دَائِمًا تُعَرِّفُنِي بِالْكَثِيرِ مِمَّا فِي الْحَيَاةِ مِنْ شُئُونٍ وَأَسْرَارٍ . أَبِي لَهُ خِبْرَةٌ وَتَجْرِبَةٌ ، اكْتَسَبَهَا بِذَكَائِهِ وَنَشَاطِهِ ، فِي عُمْرِهِ الطَّوِيلِ . اَلْقِصَّةُ الَّتِي أَحْكِي حَوَادِثَهَا الْآنَ ، قِصَّةٌ مُسَلِّيَةٌ مُفِيدَةٌ فِي آنٍ



فِي مَزْرَعَةِ «عَمَّارٍ»

عَاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ ،
وَسالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوانِ ،
رَجُلٌ مِنْ كِبارِ الْأَعْيانِ ،
مِنْ ذَوِي الْجاهِ وَالسُّلْطانِ ،
وَأَصْحابِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسانِ .
اسْمُهُ «عَمَّارُ بْنُ عِمْرانَ» ،
لا يَرْتَكِبُ الظُّلْمَ وَالْعُدْوانَ ،
مَعَ كُلِّ إِنْسانٍ أَوْ حَيَوانٍ ؛
كانَ يُقِيمُ فِي بَلْدَتِهِ الْأَصِيلَةِ ،
مِنْ بِلادِ الرِّيفِ الْجَمِيلَةِ .

«عَمَّارٌ» لَهُ مَزْرَعَةٌ عامِرَةٌ بِحُقُولِ الْخُضَرِ ، وَأَشْجارِ الْفاكِهَةِ ، وَحَدائِقِ الزُّهُورِ .
كانَ مُهْتَمًّا بِمَزْرَعَتِهِ ، يَتَعَهَّدُها بِنَفْسِهِ ، لِتَكُونَ عَلَى الدَّوامِ نامِيَةً .
فِي أُمْسِيَةٍ مِنَ الْأَماسِيِّ ، أَرادَ «عَمَّارٌ» أَنْ يَتَفَقَّدَ زَرِيبَةَ الْمَزْرَعَةِ .
خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ، وَمَشَى ، حَتَّى أَصْبَحَ قَرِيبًا مِنْ بابِ الزَّرِيبَةِ .
أُذُنُ «عَمَّارٍ» الْتَقَطَتْ ، فِي هُدُوءِ اللَّيْلِ ، هَمَساتٍ تَنْبَعِثُ مِنْ هُناكَ !
عَرَفَ أَنَّ هٰذِهِ الْهَمَساتِ الْمَسْمُوعَةَ ، لَيْسَتْ أَصْواتَ الْخُفَراءِ أَوِ الْحُرّاسِ .
مَدَّ خُطاهُ إِلَى شُبّاكِ الزَّرِيبَةِ ، وَأَنْصَتَ ، لِيَتَبَيَّنَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ .



٣

اَلْحِمَارُ الْمَحْظُوظُ

كَانَ الْهَمْسُ الَّذِي سَمِعَهُ يَدُورُ

بَيْنَ الثَّوْرِ وَأَحَدِ الْحَمِيرِ .

اَلثَّوْرُ مُلْقًى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ..

يَقُولُ لِلْحِمَارِ وَهُوَ يَتَمَرَّغُ :

« أَنْتَ سَعِيدٌ فِي حَيَاتِكَ ..

يُقَدِّمُونَ لَكَ الشَّعِيرَ النَّظِيفَ ،

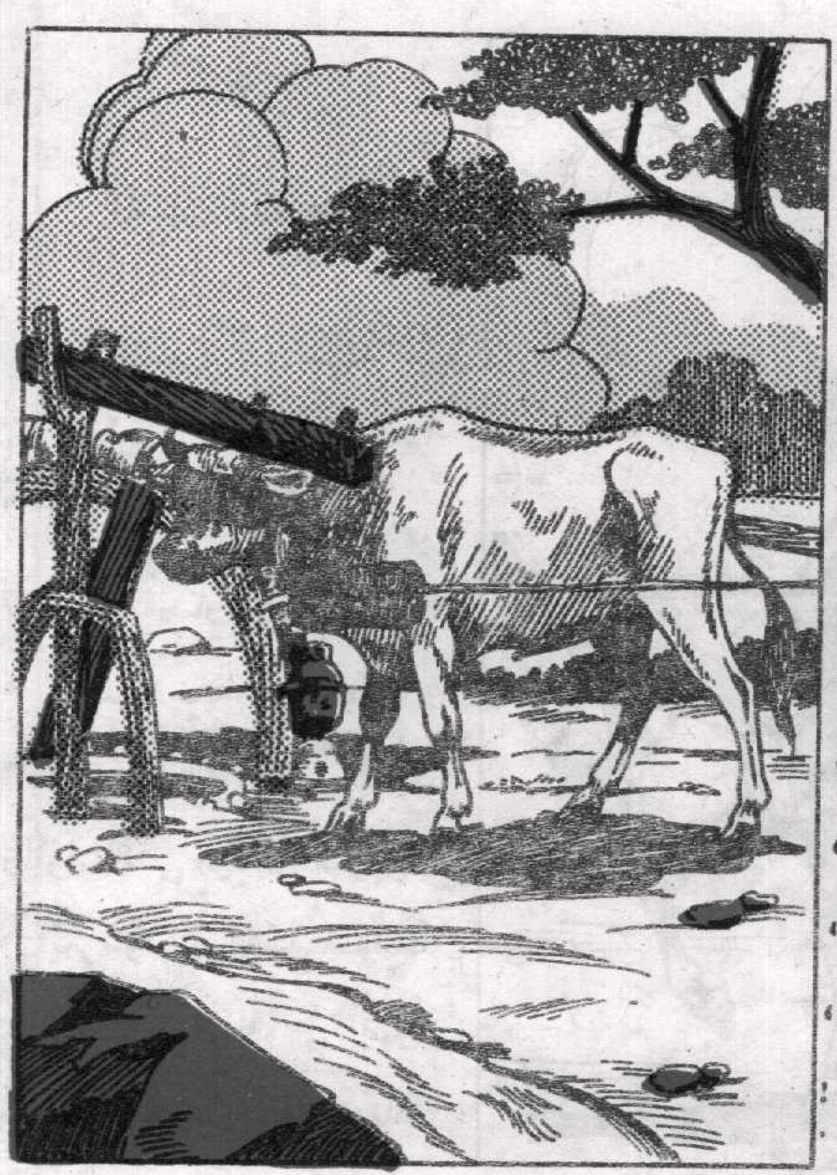
وَالْفُولَ الْمُنَقَّى ، وَالتِّبْنَ الْمُغَرْبَلَ ..

يَحْرِصُونَ عَلَى حُسْنِ هِنْدَامِكَ :

بَرْذَعَةٌ مُزَخْرَفَةٌ عَلَى ظَهْرِكَ :

نَعْلٌ حَدِيدِيَّةٌ فِي قَدَمِكَ :

لَيْسَ لَكَ فِي هٰذِهِ الْمَزْرَعَةِ أَيَّةُ مُهِمَّةٍ ، وَلَا عَلَيْكَ أَيُّ عَمَلٍ .
فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ ، يَتْرُكُونَكَ تَرْتَعُ فِي الزَّرِيبَةِ ، كَأَنَّكَ فِي إِجَازَةٍ .
إِنَّكَ ـ يَا صَاحِبِي ـ تَنَامُ كَمَا تَشَاءُ ، وَتَصْحُو مِنْ نَوْمِكَ كَمَا تَشَاءُ .
لَا يُزْعِجُكَ مِنَ الْحُرَّاسِ أَحَدٌ ، وَلَا تَخَافُ أَنْ يَضْرِبَكَ أَحَدٌ .
فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، يَأْتُونَ لِيُنَظِّفُوكَ ، وَلِيَضَعُوا عَلَى ظَهْرِكَ الْبَرْذَعَةَ .
يَقُودُونَكَ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ صَاحِبُ الْمَزْرَعَةِ ، لِتَكُونَ رَكُوبَةً لَهُ .
تَتَنَزَّهُ مَعَهُ فِي طُرُقَاتِ الْحُقُولِ ، ثُمَّ تَعُودُ مِنَ النُّزْهَةِ بِلَا تَعَبٍ .



مَتاعِبُ الثَّوْرِ

سَكَتَ الثَّوْرُ بِضْعَ لَحَظاتٍ ،

اِضْطَجَعَ عَلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ قالَ :

« أنا عَلَى العَكْسِ مِنْكَ . .

لَسْتُ مِثْلَكَ - يا أخِي - الحِمارَ .

إذا لاحَ الفَجْرُ بِنُورِهِ ،

ظَهَرَ أمامَ عَيْنِي حارِسُ المَزْرَعَةِ ،

وَأقْبَلَ عَلَيَّ يَتَحَسَّسُ جَنْبِي بِقُوَّةٍ ،

ثُمَّ يَذْهَبُ بِي لِأجُرَّ المِحْراثَ ،

أوْ يَجْعَلُنِي أُدِيرُ عَجَلَةَ السّاقِيَةِ ،

أوْ يَسُوقُنِي لِكَيْ ألُفَّ بِالطّاحُونِ .

أخْرُجُ مِنَ الزَّرِيبَةِ مَعَ الشَّمْسِ ، وَأبْقَى مَعَها : مِنْ مَشْرِقِها إلَى مَغْرِبِها .

أغْلَبُ ساعاتِ النَّهارِ بِطُولِهِ ، أقْضِيها فِي لَفٍّ وَدَوَرانٍ ، دُونَ انْقِطاعٍ .

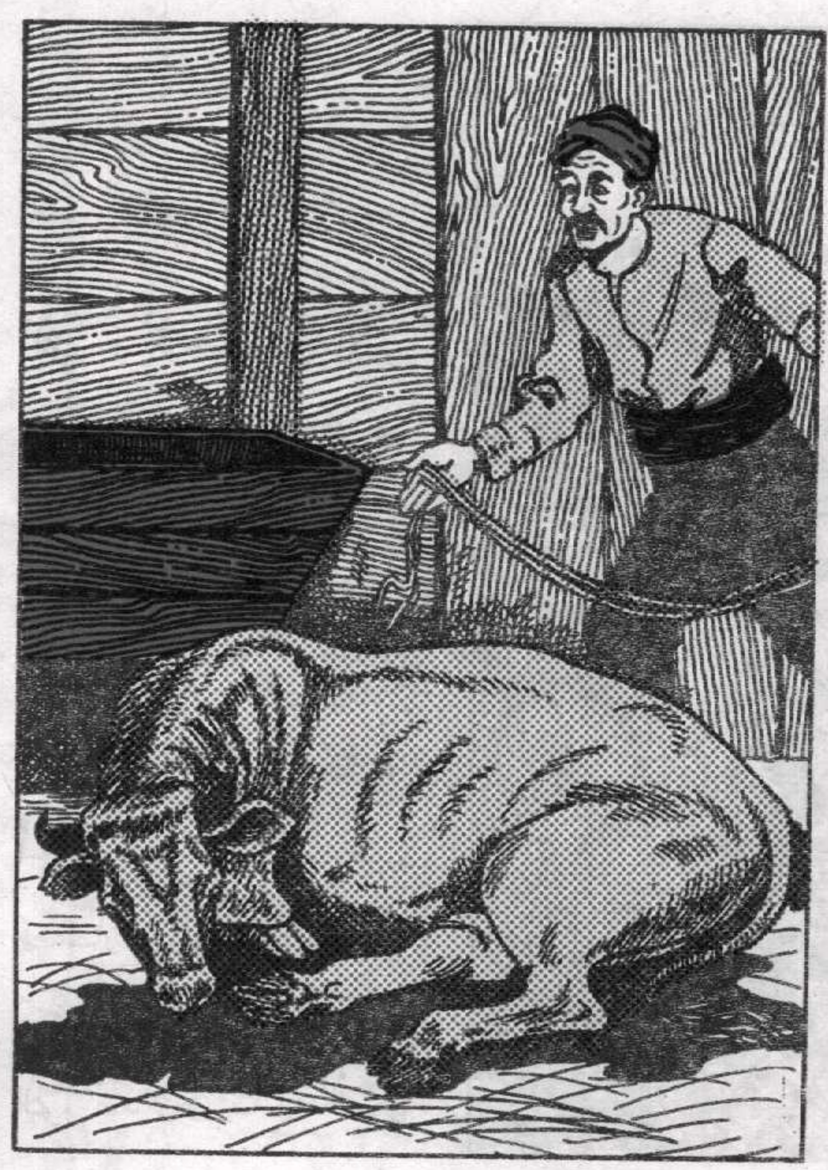
يَوْمِي كُلُّهُ عَمَلٌ شاقٌّ مُتَواصِلٌ فِي الطّاحُونِ ، أُعانِي مِنْهُ أشَدَّ الإرْهاقِ .

إنِّي أرْجِعُ إلَى الزَّرِيبَةِ ، آخِرَ النَّهارِ ، وَأنا مَهْدُودٌ مَكْدُودٌ .

أمّا طَعامِي اليَوْمِيُّ ، فَلا عِنايَةَ بِتَنْظِيفِهِ ، أوْ غَرْبَلَتِهِ ، أوْ تَنْقِيَتِهِ .

لا تَظُنَّنِي أحْسُدُكَ عَلَى حَظِّكَ السَّعِيدِ ، فِي حَياتِكَ النّاعِمَةِ المُرَفَّهَةِ .

لَيْتَنِي - يا صاحِبِي - حِمارًا مِثْلَكَ أنْتَ ، أيُّها الحَيَوانُ المَحْظُوظُ ! . .



٥

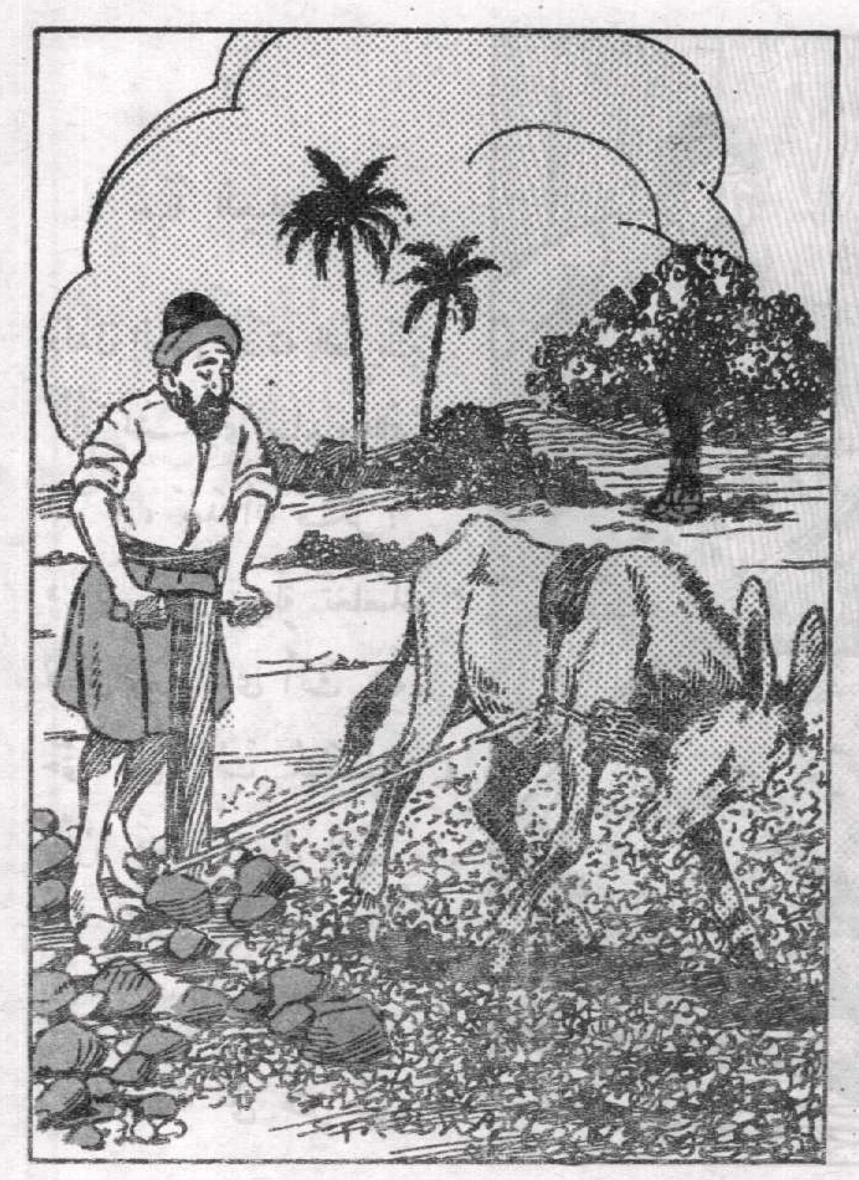
حِيلَةُ الْحِمارِ

دَلْدَلَ الْحِمارُ أُذُنَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ .
تَأَلَّمَ لِشَكْوَى صاحِبِهِ الثَّوْرِ .
قالَ لَهُ ، بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ :
« أَلَيْسَ مِنْ حِيلَةٍ تُخَلِّصُكَ ؟
لا تَرْضَ بِالَّذِي أَنْتَ فِيهِ .
حَتَّى مَتَى أَنْتَ مُسْتَسْلِمٌ ؟ »
اَلثَّوْرُ عَجِبَ لِقَوْلِ الْحِمارِ . .
ماذا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ لِنَفْسِهِ ؟
أَيَّةُ حِيلَةٍ لَهُ يَقُومُ بِها ؟
لا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ !

اَلْحِمارُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِأَنْ يَظَلَّ الثَّوْرُ فِي حالَتِهِ الْبائِسَةِ الْمَهِينَةِ الَّتِي يَحْياها .
فَكَّرَ ، ثُمَّ قالَ لِصاحِبِهِ : « عِنْدِي لَكَ رَأْيٌ فِي مُعالَجَةِ مُشْكِلَتِكَ الْعَوِيصَةِ .
سَأَعْرِضُ رَأْيِي عَلَيْكَ ، يا صاحِبِي الْعَزِيزَ ، وَأَنْتَ حُرٌّ فِي قَبُولِهِ ، أَوْ رَفْضِهِ .
اَلثَّوْرُ قالَ : « لا أَشُكُّ فِي صِدْقِ مَوَدَّتِكَ ، وَخُلُوصِ نِيَّتِكَ . ماذا تَرَى ؟ »
اَلْحِمارُ قالَ : « عَلَيْكَ أَنْ تَتَصَنَّعَ الْمَرَضَ ، وَتَتَظاهَرَ لِلْحارِسِ بِالضَّعْفِ . »
اِعْلَمْ أَنَّ الْحارِسَ لا يُرِيدُكَ إِلَّا قَوِيًّا مُعافًى ، فِيكَ قُدْرَةٌ عَلَى الْعَمَلِ .
إِذا لَمْ يَجِدْكَ كَما يُرِيدُ ، تَرَكَكَ وَشَأْنَكَ ، وَمَضَى يَبْحَثُ عَنْ بَدِيلٍ .

٦

الْجانِي عَلَى نَفْسِهِ



اَلثَّوْرُ فَكَّرَ مَلِيًّا فِي الْأَمْرِ .

اقْتَنَعَ بِصَوابِ ذٰلِكَ الرَّأْيِ .

تَصَنَّعَ الْمَرَضَ وَشِدَّةَ الضَّعْفِ .

جاءَ الْحارِسُ فِي مَطْلَعِ الصَّباحِ .

وَجَدَ الثَّوْرَ عاجِزًا عَنِ الْحَرَكَةِ .

ذَهَبَ الْحارِسُ إِلَى « عَمّارٍ » .

أَخْبَرَهُ بِأَنَّ الثَّوْرَ مَرِيضٌ .

« عَمّارٌ » فَهِمَ السِّرَّ الْخَفِيَّ .

عَرَفَ سَرِيعًا حِيلَةَ ثَوْرِ الْمَزْرَعَةِ :

الثَّوْرُ نَفَّذَ رَأْيَ صاحِبِهِ الْحِمارِ .

« عَمّارٌ » قالَ لِحارِسِ الْمَزْرَعَةِ : « اُتْرُكِ الثَّوْرَ فِي الزَّرِيبَةِ ، حَتَّى يَصِحَّ . »

اَلْحارِسُ قالَ : « نَحْنُ مُحْتاجُونَ فِي هٰذا الْيَوْمِ إِلَى تَدْوِيرِ الطّاحُونِ . »

« عَمّارٌ » قالَ : « أَخْرِجِ الْحِمارَ مِنَ الزَّرِيبَةِ ، وَعَلِّقْهُ مَكانَ الثَّوْرِ . »

حارِسُ الْمَزْرَعَةِ ذَهَبَ إِلَى الزَّرِيبَةِ ، وَأَخْرَجَ مِنْها الْحِمارَ ، كَما أَرادَ « عَمّارٌ » .

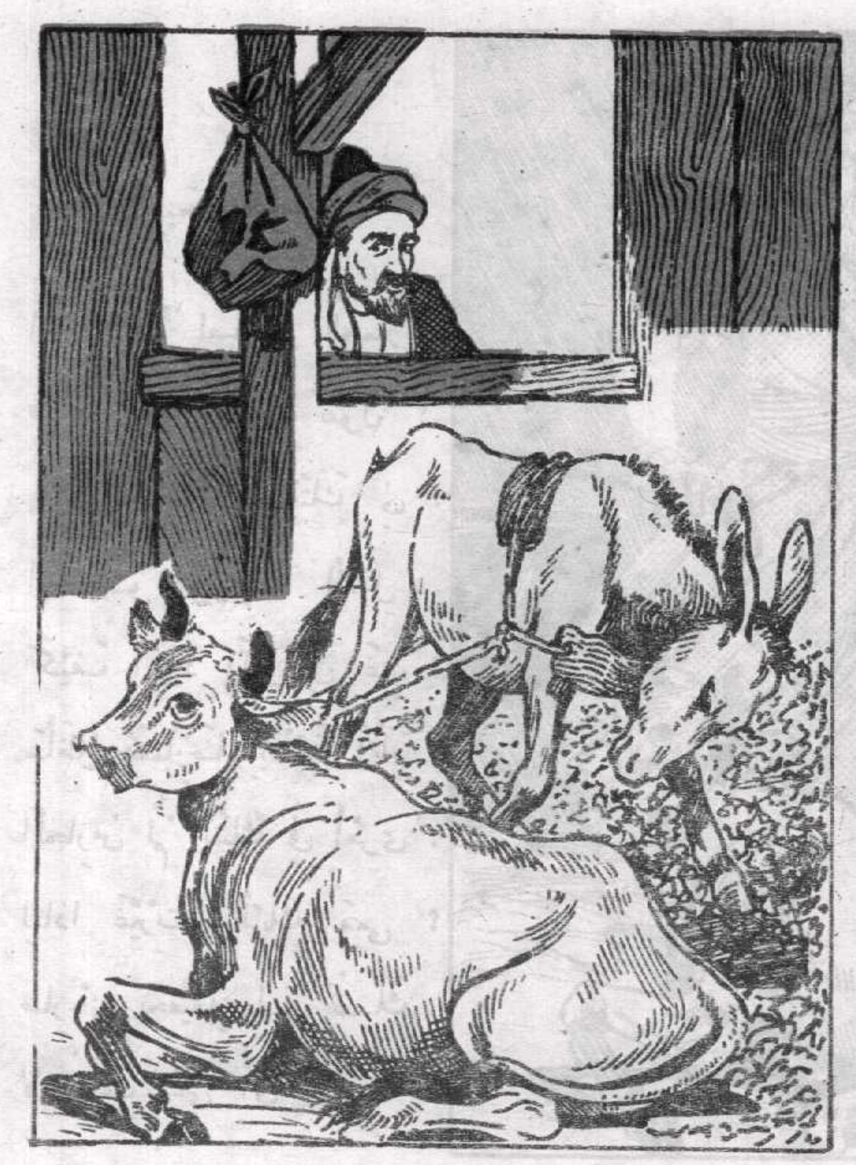
اَلْحِمارُ وَجَدَ نَفْسَهُ مَسُوقًا بِيَدِ الْحارِسِ إِلَى الطّاحُونِ ، مُعَلَّقًا فِيهِ ، لِيُدَوِّرَهُ .

قالَ لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ يُدَوِّرُ الطّاحُونَ ، وَيَقْضِي أَشْأَمَ يَوْمٍ مَرَّ بِهِ فِي حَياتِهِ :

« مالِي أَنا وَلِلثَّوْرِ ؟! لِماذا أَتَدَخَّلُ فِي شَأْنِهِ ؟ أَنا الْجانِي عَلَى نَفْسِي ! »

٧

حَدِيثُ الْمَساء



عادَ الحِمارُ فِي الْمَســاءِ .
كانَ التَّعَبُ قَدْ حَلَّ عَلَيْهِ .
أَرْهَقَهُ طُولُ اللَّفِّ وَالدَّوَرانِ .
ارْتَمى بِجانِبِ صاحِبِهِ الثَّوْرِ .
وَجَدَهُ فِي أَحْسَنِ حالٍ :
صَحِيحَ الْجِسْمِ ، مُرْتاحَ الْبالِ .
اَلْحِمارُ جَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
« هَلْ أَرْضَى بِما حَصَلَ لِي ؟
تُرَى ماذا يَحْدُثُ فِي غَدٍ ؟
هَلْ أَسْتَمِرُّ أَدُورُ الطَّاحُونَ ؟ »

اَلْحِمارُ فَكَّرَ فِي حِيلَةٍ يَتَخَلَّصُ بِها مِنَ الْوَرْطَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيها الْيَوْمَ .
اَلثَّوْرُ وَجَدَ صاحِبَهُ الْحِمارَ ساهِمًا ، مَهْمُومَ النَّفْسِ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ :
« مالِي أَراكَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَيْرِ ما تَعَوَّدْتُ مِنْكَ ؟ أَخْبِرْنِي : ماذا يَشْغَلُكَ ؟ »
اَلْحِمارُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُخْبِرَ صاحِبَهُ ، بِأَنَّهُ دَوَّرَ الطَّاحُونَ ، طُولَ الْيَوْمِ ..
قالَ لِلثَّوْرِ : « اِسْتَعِدَّ لِلْخُرُوجِ مَعَ الْحارِسِ ، صَباحَ غَدٍ ، إِلَى الْمَزْرَعَةِ .
عَلَيْكَ أَنْ تَنْشَطَ ، وَأَنْ تُؤَدِّيَ عَمَلَكَ ، كَما كُنْتَ تُؤَدِّيهِ قَبْلَ الْيَوْمِ .
أَحْسَنُ لَكَ - يا صاحِبِي - أَنْ تَقْبَلَ نُصْحِي ، وَأَنْ تُنَفِّذَ ما أُشِيرُ عَلَيْكَ بِهِ ! »



نَصِيحَةُ الْحِمارِ

اَلثَّوْرُ قالَ لِصاحِبِهِ الْحِمارِ :
« ما هٰذا الَّذِي تَقُولُ ؟
لَقَدْ نَفَّذْتُ نَصِيحَتَكَ لِي .
إِسْتَرَحْتُ مِنْ عَناءِ الْعَمَلِ .
كَيْفَ أَعُودُ إِلَيْهِ فِي غَدٍ ؟
سَأَظَلُّ مُتَمارِضًا بِضْعَةَ أَيّامٍ .
اَلْحارِسُ لَمْ يَشُكَّ فِي أَمْرِي .
لِماذا غَيَّرْتَ رَأْيَكَ مَعِي ؟
صارِحْنِي بِحَقِيقَةِ ما فِي نَفْسِكَ .
لا تُخْفِ عَنِّي أَيَّ شَيْءٍ ! »

اَلْحِمارُ قالَ لِصاحِبِهِ الثَّوْرِ : « لَقَدْ عَرَّضْتُكَ لِلْأَذَى وَالْهَلاكِ وَسُوءِ الْمَصِيرِ .
أَنا قَصَدْتُ مَصْلَحَتَكَ ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْفَعَكَ ؛ وَلٰكِنْ حَدَثَ الْعَكْسُ ! »
اَلثَّوْرُ قالَ : « كَيْفَ تَقُولُ لِي ذٰلِكَ ، وَأَنْتَ أَرَحْتَنِي مِنَ الْعَمَلِ الْمُضْنِي ؟ »
اَلْحِمارُ قالَ : « سَمِعْتُ صاحِبَ الْمَزْرَعَةِ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْحارِسِ فِي شَأْنِكَ .
سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ : عَلَيْكَ أَنْ تَفْحَصَ حالَةَ الثَّوْرِ ، وَأَنْ تَتَبَيَّنَ أَمْرَهُ .
إِذا وَجَدْتَ الثَّوْرَ - عَلَى حالِهِ - مَرِيضًا غَدًا : فَأَحْضِرْ لَهُ الْجَزّارَ ، عَلَى الْفَوْرِ .
خَيْرٌ لَنا أَنْ نَذْبَحَهُ ، لِكَيْ نَنْتَفِعَ بِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ مَرَضُهُ ، وَيَهْلِكَ ! . »



اَلْعَوْدَةُ إِلَى الْعَمَلِ

إِرْتَعَبَ اَلثَّوْرُ مِمَّا سَمِعَ

أَقْبَلَ عَلَى الْحِمَارِ يَقُولُ لَهُ :

« هَلْ يُنَفِّذُ الْحَارِسُ الْأَمْرَ ؟

هَلْ يَدْعُو الْجَزَّارَ لِذَبْحِي ؟ »

اَلْحِمَارُ قَالَ لِصَاحِبِهِ اَلثَّوْرِ :

« نَعَمْ ، إِذَا وَجَدَكَ غَدًا مَرِيضًا .

إِذَا لَمْ تَخْرُجْ مَعَهُ إِلَى الْعَمَلِ :

هَلْ يُخَالِفُ صَاحِبَ الْمَزْرَعَةِ ؟

إِنَّهُ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

كَلَامُهُ مَسْمُوعٌ دَائِمًا لَا يُرَدُّ . »

اَلثَّوْرُ قَالَ لِصَاحِبِهِ الْحِمَارِ : « أَفِدْنِي بِرَأْيِكَ . بِمَاذَا تَنْصَحُ لِي أَنْ أَفْعَلَ ؟ »

اَلْحِمَارُ قَالَ لِصَاحِبِهِ اَلثَّوْرِ : « عَلَيْكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى سَابِقِ عَهْدِكَ ، كَمَا كُنْتَ .

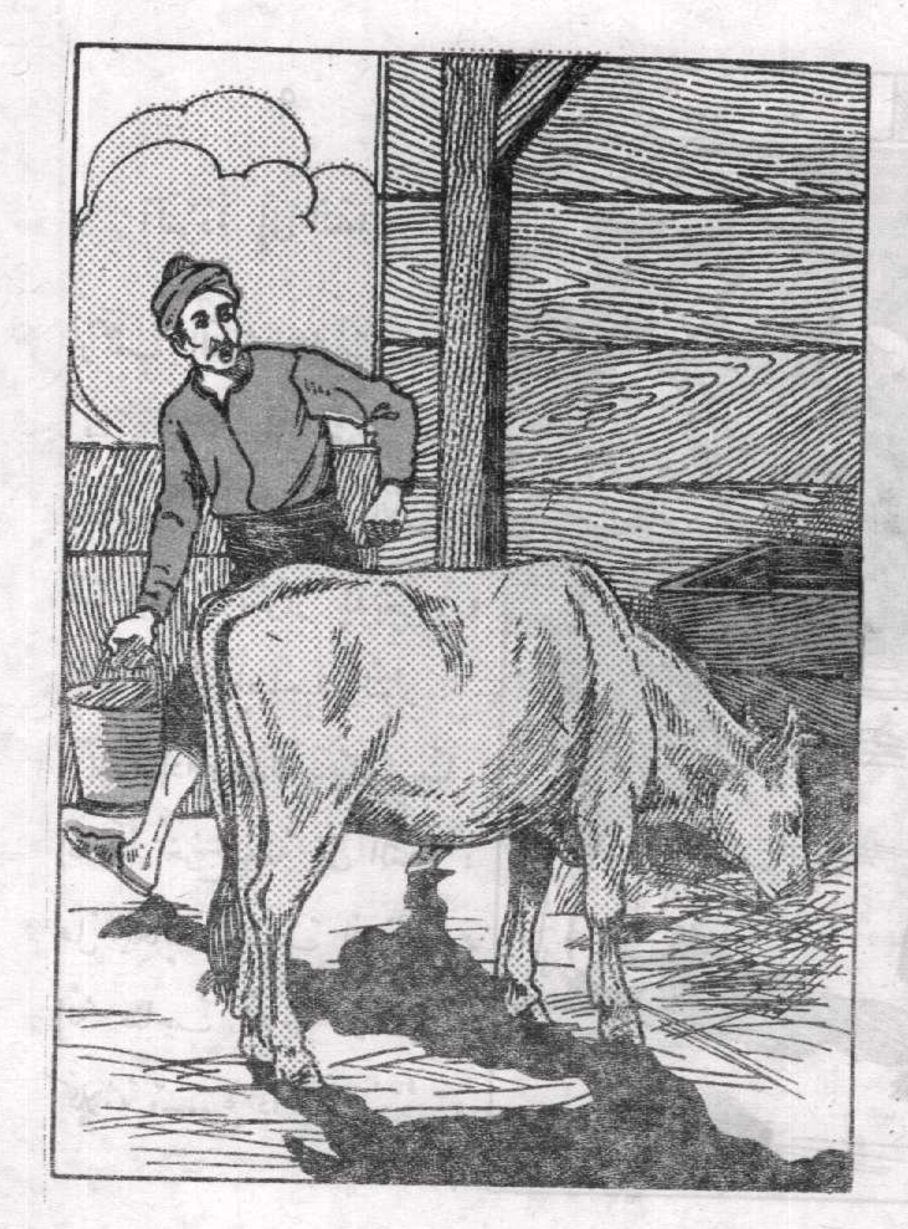
عَلَيْكَ أَنْ تُقْبِلَ عَلَى الطَّعَامِ الْمُقَدَّمِ لَكَ بِشَهِيَّةٍ ، كَمَا كَانَتْ حَالُكَ مِنْ قَبْلُ .

حِينَمَا يَأْتِي الْحَارِسُ إِلَيْكَ صَبَاحَ غَدٍ ، عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ مَعَهُ إِلَى عَمَلِكَ فِي نَشَاطٍ . »

اَلثَّوْرُ قَالَ لِصَاحِبِهِ الْحِمَارِ : « إِذَا لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ ، سَاقَنِي اَلْحَارِسُ إِلَى الْجَزَّارِ !

اَلْحَيَاةُ عَزِيزَةٌ عَلَيَّ وَالْعُمْرُ غَالٍ عِنْدِي ، وَيَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَحْمِيَ حَيَاتِي مِنَ الْخَطَرِ .

لَوْ حَضَرَ الْحَارِسُ عِنْدِي الْآنَ ، لَقُمْتُ مَعَهُ فَوْرًا لِلْعَمَلِ ، فِي اللَّيْلِ ! »



١٠

اَلسِّرُّ الْمَكْتُومُ

حَضَرَ الْحارِسُ فِي الصَّباحِ

وَجَدَ الثَّوْرَ يَلْتَهِمُ طَعامَهُ .

لَمْ يُبْقِ مِنْهُ إِلا الْقَلِيلَ .

اَلثَّوْرُ أَظْهَرَ لِلْحارِسِ نَشاطَهُ .

قامَ إِلَيْهِ عَلى الْفَوْرِ حِينَ رَآهُ .

خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الطَّاحُونِ .

أَدارَ الطَّاحُونَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ .

عَجِبَ الْحارِسُ مِنْ أَمْرِهِ .

ذَهَبَ إِلَى صاحِبِ الْمَزْرَعَةِ .

قَصَّ عَلَيْهِ شَأْنَ الثَّوْرِ النَّشِيطِ .

فَرِحَ صاحِبُ الْمَزْرَعَةِ « عَمَّارٌ » ، بِنَجاحِ حِيلَتِهِ الَّتِي اتَّخَذَها مَعَ ذٰلِكَ الْحِمارِ .

اِطْمَأَنَّ الْحِمارُ بِأَنَّ الثَّوْرَ اسْتَمَعَ لِنَصِيحَتِهِ ، وَرَجَعَ - فِي هِمَّةٍ - إِلَى سابِقِ عَمَلِهِ .

« عَمَّارٌ » جَلَسَ فِي الْبَيْتِ مَعَ زَوْجَتِهِ « أَنْوارَ » ، يَقُصُّ عَلَيْها حِكايَةَ الثَّوْرِ وَالْحِمارِ .

« أَنْوارُ » أَظْهَرَتْ لِزَوْجِها « عَمَّارٍ » أَنَّها مُشْفِقَةٌ عَلَى الثَّوْرِ الَّذِي يُدَوِّرُ الطَّاحُونَ .

طَلَبَتْ مِنْ « عَمَّارٍ » أَنْ يَرْفُقَ بِهِ فِي الْعَمَلِ ، فَوَعَدَها بِتَحْقِيقِ ما طَلَبَتْهُ مِنْهُ .

سَأَلَتْهُ : « بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ اسْتَطَعْتَ مَعْرِفَةَ حِيلَةِ الثَّوْرِ ، حِينَ تَظاهَرَ بِأَنَّهُ مَرِيضٌ ؟ »

أَجابَها « عَمَّارٌ » : « هٰذا سِرٌّ مِنَ الْأَسْرارِ ، لا أُطْلِعُكِ عَلَيْهِ يا « أَنْوارُ » ! »



مَزْرَعَةُ الدَّواجِنِ

« أنوارُ » عاتِبَةٌ عَلَى زَوْجِها .

لِماذا هُوَ يُخْفِي عَنْها السِّرَّ ؟

لِماذا لا تَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ مِنْهُ ؟

إنَّها تَتَطَلَّعُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ .

لَمْ يَرْضَ أَنْ يُطْلِعَها عَلَيْهِ .

إنَّهُ مُصِرٌّ عَلَى الْكِتْمانِ !

فِي الْغَدِ ، لَمْ تَخْرُجْ « أنوارُ » .

لَزِمَتْ حُجْرَتَها طُولَ النَّهارِ .

أَبَتْ أَنْ تُغادِرَ الدّارَ .

لَمْ يَعْلَمْ بِذٰلِكَ « عَمّارٌ » .

« أنوارُ » قالَتْ لِنَفْسِها : « لِماذا يَتْرُكُنِي زَوْجِي فِي حَيْرَةٍ واشْتِغالِ بالٍ ؟ لِماذا يَكْتُمُ عَنِّي حَقِيقَةَ هٰذا الْأَمْرِ ؟ أَلَسْتُ أَنا أَهْلًا لِحِفْظِ السِّرِّ ؟ »

كانَ فِي حَدِيقَةِ بَيْتِ « عَمّارٍ » مَزْرَعَةُ دَواجِنَ واسِعَةُ الْأَرْجاءِ .

فِي مَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ الْواسِعَةِ ، يَمْرَحُ دِيكٌ واحِدٌ وَخَمْسُونَ دَجاجَةً .

« أنوارُ » هِيَ الْمُخْتَصَّةُ بِالْعِنايَةِ بِمَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ ، وَالْإِشْرافِ عَلَيْها .

فِي صَباحِ هٰذا الْيَوْمِ ، لَمْ تَخْرُجْ « أنوارُ » إِلَى مَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ ، كَعادَتِها . ظَلَّ الدِّيكُ مَعَ الدَّجاجِ يَنْتَظِرُونَ أَنْ تَحْضُرَ « أنوارُ » ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْها .

اَلْبَحْثُ عَنْ « أَنْوارَ »

« عَمّارٌ » تَعَجَّبَ مِمّا حَدَثَ .

« أَنْوارُ » فِي الْبَيْتِ مُتَشَكِّيَةٌ .

لَزِمَتْ حُجْرَتَها ، فَلَمْ تَخْرُجْ .

بَعَثَ إِلَيْها ، يَطْلُبُ حُضُورَها .

أَرْسَلَتْ تَقُولُ : إِنَّها مُتَعَذِّرَةٌ .

فَكَّرَ فِي مَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ :

مَنْ يَرْعَى شَأْنَها الْيَوْمَ ؟

لا يَتْرُكُها دُونَ رِعايَةٍ .

لا بُدَّ مِنَ الذَّهابِ إِلَيْها .

مَنْ يَقُومُ بِهٰذِهِ الْمُهِمَّةِ ؟

« عَمّارٌ » لَمْ يَشَأْ أَنْ يُرْسِلَ أَحَدًا غَيْرَهُ إِلَى مَزْرَعَةِ الدَّواجِنِ ، لِكَيْ يَرْعاها .

لَمّا ذَهَبَ إِلَى الْمَزْرَعَةِ ، وَجَدَ دِيكَ الدَّجاجِ ، يَنْقُرُ بَعْضَ الدَّجاجاتِ .

لاحَظَ « عَمّارٌ » أَنَّ الدِّيكَ يَنْقُرُ تِلْكَ الدَّجاجاتِ ، مَرّاتٍ ، بِلا سَبَبٍ ؟

« عَمّارٌ » سَمِعَ دِيكَ الدَّجاجِ ، يَقُولُ لِلْكَلْبِ « سَبُعِ اللَّيْلِ » بِجانِبِهِ :

« اِنْتَظَرْنا « أَنْوارَ » طَوِيلًا ، فَلَمْ نَرَها . اِذْهَبْ لِتَعْرِفَ : لِماذا لَمْ تَحْضُرْ ؟ »

ذَهَبَ « سَبُعُ اللَّيْلِ » ، وَرَجَعَ يَقُولُ : « هِيَ فِي حُجْرَتِها ، لَمْ تَخْرُجْ مِنْها . »

دِيكُ الدَّجاجِ أَخَذَ يَنْقُرُ الدَّجاجاتِ ، فِي قَسْوَةٍ وَعُنْفٍ ، واحِدَةً بَعْدَ واحِدَةٍ !



سَيْطَرَةُ الدِّيكِ

اَلدِّيكُ قالَ لِـ « سَبُعِ اللَّيْلِ » :

« لِماذا لَزِمَتْ « أَنْوارُ » حُجْرَتَها !

لِماذا لَمْ تَحْضُرْ هُنا كَعادَتِها ؟ »

اَلدِّيكُ انْتَفَشَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

« أَنا أَرْعَى خَمْسِينَ دَجاجَةً ،

لا تَعْصِي لِي أَيَّ أَمْرٍ .

لا تَغِيبُ واحِدَةٌ عَنِّي .

لا بُدَّ أَنْ تَسْتَأْذِنَ مِنِّي .

أَنا أُسَيْطِرُ عَلَيْها كُلِّها .

هِيَ دائِمًا مُطِيعَةٌ لِي ! »

اَلْكَلْبُ « سَبُعُ اللَّيْلِ » - بَعْدَ أَنْ سَمِعَ كَلامَ الدِّيكِ - قالَ لَهُ ، مُعاتِبًا :

« لِماذا أَنْتَ عَنِيفٌ هٰكَذا ؟ أَراكَ تَنْقُرُ الدَّجاجاتِ دائِمًا ، بِغَيْرِ ذَنْبٍ !

لِماذا لا تَكُونُ لَطِيفًا فِي مُعامَلَتِكَ ، مِثْلَ صاحِبِ الْمَزْرَعَةِ وَزَوْجَتِهِ ؟

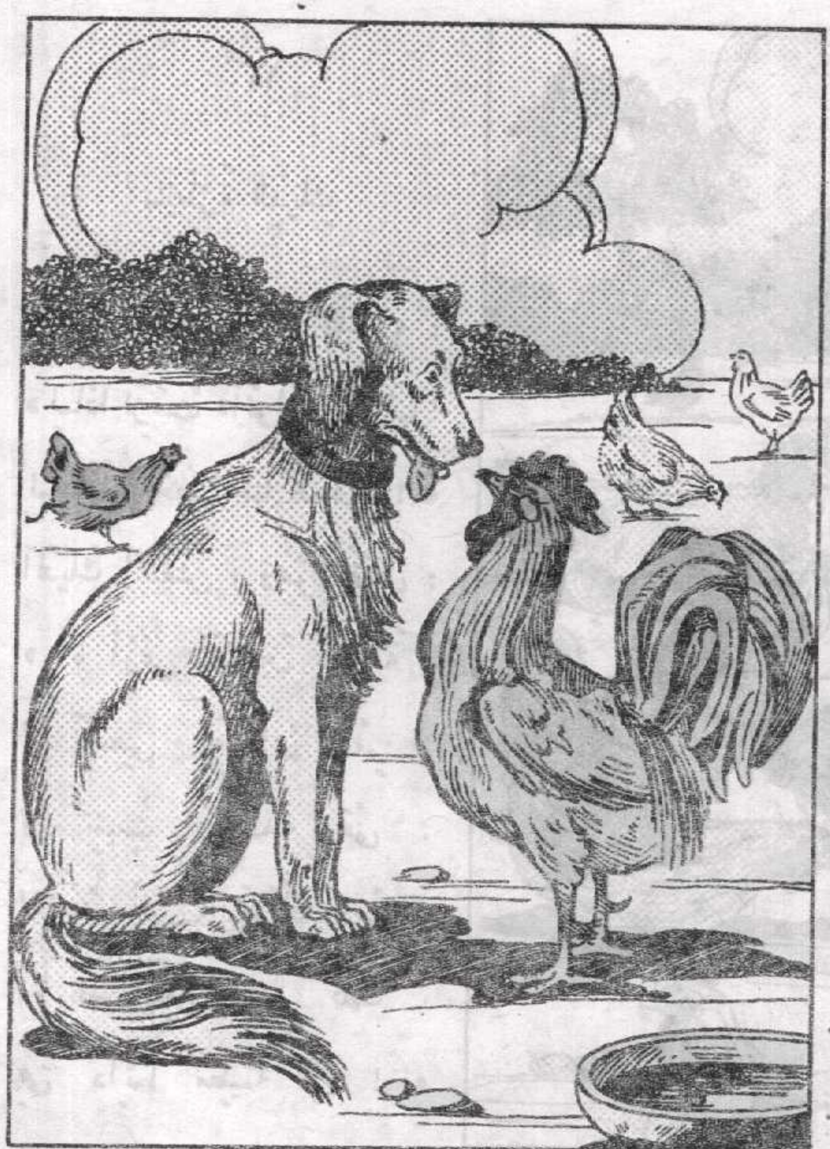
أَخْلاقُهُما كَرِيمَةٌ ، لا يَعْتَدِيانِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ إِنْسانٍ أَوْ حَيَوانٍ ، فِي أَيِّ مَكانٍ . »

اَلدِّيكُ الْمُنْتَفِشُ قالَ : « صاحِبُ الْمَزْرَعَةِ لا يُعْجِبُنِي فِي تَصَرُّفاتِهِ الْمُتَهاوِنَةِ .

أَراهُ فِي سُلُوكِهِ لا يُحِبُّ السَّيْطَرَةَ عَلَى أَحَدٍ ، وَلا يُرِيدُ فَرْضَ إِرادَتِهِ بِالْقُوَّةِ ! »

« سَبُعُ اللَّيْلِ » قالَ : « اَلْقُوَّةُ لَها مَوْضِعُها ، لا تُسْتَعْمَلُ فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوانِ . »

اَلْمُعامَلَةُ بِالْحُسْنَى



اَلدِّيكُ أَمامَ « سَبُعِ اللَّيْلِ » .
مَشْغُولُ الذِّهْنِ بِالْحَدِيثِ مَعَهُ .
دَجاجَةٌ اقْتَرَبَتْ مِنَ الدِّيكِ .
نَقَرَها الدِّيكُ بِشِدَّةٍ وَقَسْوَةٍ .
صاحَ يَقُولُ لَها ، وَهُوَ غَضْبانُ :
« ماذا جاءَ بِكِ إِلَى هُنا الْآنَ ؟
اِبْعُدِي عَنِّي ، وَأَنا أَتَكَلَّمُ ! »
اِبْتَعَدَتِ الدَّجاجَةُ عَنِ الدِّيكِ .
جَعَلَتْ تُقَرْقِرُ ، وَهِيَ مُتَأَلِّمَةٌ .
رَجَعَتْ إِلَى الدَّجاجِ شاكِيَةً .

« سَبُعُ اللَّيْلِ » قالَ لِدِيكِ الدَّجاجِ ، يَلُومُهُ عَلَى هٰذا التَّصَرُّفِ السَّيِّئِ مِنْهُ :
« لِماذا تَرْضَى لِنَفْسِكَ أَنْ تُعامِلَ دَجاجاتِكَ الْعَزِيزَةَ ، هٰذِهِ الْمُعامَلَةَ الْغَلِيظَةَ ؟
حاوِلْ أَنْ تَتْرُكَ ذٰلِكَ السُّلُوكَ ، وَأَنْ تُعامِلَ الدَّجاجاتِ بِالْحُسْنَى ، وَلا تَعْنُفَ بِها . »
دِيكُ الدَّجاجِ رَدَّ عَلَى « سَبُعِ اللَّيْلِ » بِصَوْتٍ عالٍ ، يَقُولُ لَهُ :
« أَنا لا أَتَسامَحُ فِي مُعامَلاتِي . إِذا غَضِبْتُ مِنْ دَجاجَةٍ ، عاقَبْتُها فِي الْحالِ . »
« سَبُعُ اللَّيْلِ » قالَ لَهُ : « عالِجْ أُمُورَكَ دائِمًا مَعَ مَنْ تُصاحِبُ بِغَيْرِ الْقَسْوَةِ .
اَلْأَفْضَلُ أَنْ تَكُونَ فِي حَياتِكَ لَطِيفًا مَحْبُوبًا ، لا أَنْ تَكُونَ جَبّارًا مَرْهُوبًا . »

الاحْتِفاظُ بِالسِّرِّ



هٰذا هُوَ ٱلْحَدِيثُ ٱلَّذِي دارَ ،
سَمِعَهُ فِي ٱلْمَزْرَعَةِ «عَمّارٌ» .
فَكَّرَ لَحْظَةً فِي ذٰلِكَ ٱلْحِوارِ .
رَجَعَ بِسُرْعَةٍ إِلَى ٱلدّارِ .
كانَ ٱلْوَقْتُ مُنْتَصَفَ ٱلنَّهارِ .
أَقْبَلَ عَلَى حُجْرَةِ «أَنْوارَ» .
وَجَدَها فِي ٱلْحُجْرَةِ جالِسَةً .
قالَ لَها ، وَمَلامِحُهُ عابِسَةٌ :
« أَتُرِيدِينَ أَنْ تَعْرِفِي ٱلسِّرَّ ؛
أَنْ تَعْلَمِي حَقِيقَةَ ٱلْأَمْرِ ؟ »

« أَنْوارُ » رَفَعَتْ بَصَرَها تَتَطَلَّعُ إِلَى زَوْجِها « عَمّارٍ » ، وَقالَتْ لَهُ باسِمَةً :
« حَقًّا ، أُرِيدُ أَنْ أَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى ذٰلِكَ ٱلسِّرِّ : وَلٰكِنْ لِماذا أَنْتَ عابِسٌ ؟ »
« عَمّارٌ » قَطَّبَ جَبِينَهُ ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَــهُ ، وَقالَ لِزَوْجَتِهِ « أَنْوارَ » :
« أَبُوحُ لَكِ بِالسِّرِّ ، إِذا أَصْرَرْتِ عَلَى طَلَبِهِ ، ثُمَّ لا أَدْرِي ما يَحْدُثُ لِي !
ٱلسِّرُّ عَرَفْتُهُ مِنْ ساحِرٍ قادِرٍ ! . فَإِنْ بُحْتُ بِهِ ، لَمْ آمَنْ أَنْ يَنالَنِي مَكْرُوهٌ » .
« أَنْوارُ » ٱنْزَعَجَتْ ، وَأَسْرَعَتْ تُمْسِكُ بِكَتِفِ زَوْجِها بِقُوَّةٍ ، وَتَقُولُ لَهُ :
« لا تَبُحْ بِسِرِّكَ . ٱكْتُمْهُ عَنِّي ... حَياتُكَ أَغْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدِي !... »



لُغَةُ الْحَيَوانِ

« أَنوارُ » رَضِيَتْ عَنْ « عَمّارٍ » .
عَدَلَتْ عَنْ أَنْ تَعْرِفَ الأَسْرارَ .
« عَمّارُ » قالَ لِزَوْجَتِهِ « أَنوارَ » :
« لَيْسَ - فِي الْحَقِيقَةِ - سِرٌّ .
وَكَذٰلِكَ لَيْسَ هُناكَ سِحْرٌ .
سَأَكْشِفُ لَكِ جَلِيَّةَ الأَمْرِ .
اَلْفَضْلُ فِي ذٰلِكَ لِإِعْمالِ الْفِكْرِ .
بِالْعَقْلِ عَرَفْتُ حِيلَةَ هٰذا الثَّوْرِ .
اِنْتَبِهِي يا « أَنوارُ » لِما أَقولُ ،
لِكَيْ يَرْتاحَ بالُكِ الْمَشْغولُ . »

« أَنوارُ » تَعَجَّبَتْ مِنْ كَلامِ زَوْجِها « عَمّارٍ » ، حِينَ سَمِعَتْهُ ، وَقالَتْ لَهُ :
« أَكادُ لا أُصَدِّقُ ما أَسْمَعُهُ الآنَ ! أَخْبِرْنِي بِما عِنْدَكَ يا زَوْجِي الْعَزِيزَ . »
« عَمّارُ » اِبْتَسَمَ لِزَوْجَتِهِ ابْتِسامَةً رَقِيقَةً ، وَرَبَّتَ كَتِفَها ، وَقالَ لَها :
« اَلَّذِي يَسْتَعْمِلُ فِطْنَتَهُ ، وَيُدَقِّقُ مُلاحَظَتَهُ ، يَفْهَمُ الْكَثِيرَ مِمّا يَخْفَى عَلَيْهِ .
مَنْ يُراقِبُ الْحَيَواناتِ وَالطُّيُورَ فِي أَصْواتِها ، وَحَرَكاتِها ، وَتَصَرُّفاتِها : يَفْهَمُ لُغاتِها . »
« أَنوارُ » أَعْجَبَتْ بِما أَرْشَدَها إِلَيْهِ زَوْجُها « عَمّارٌ » ، وَقالَتْ لَهُ فَرِحَةً :
« سَأُحاوِلُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَكَ : أَفْهَمُ لُغَةَ الْحَيَوانِ ، كَما فَهِمْتُ لُغَةَ الإِنْسانِ . »



(يُجاب - مِمَّا فى هـٰذِهِ الحَكاية - عن الأسئلة الآتيـة) :

١ - لماذا كانت تستفيدُ « شَهْرَزادُ » من حِكاياتِ أبيها : « آزادَ » ؟

٢ - ماذا سمِعَ « عمَّارٌ » حين اقترَب من الزَّريبةِ ؟ وماذا عرَف ؟

٣ - لماذا كان الثَّوْرُ يحسُدُ الحِمارَ على حياتِه فى المَزْرعةِ ؟

٤ - بماذا وصفَ الثَّوْرُ حياتَه ، وعملَه ، وطعامَه ؟

٥ - ماذا دار بين الثَّوْرِ والحِمارِ من حِوارٍ ؟ وبماذا نصَح له الحِمارُ ؟

٦ - ماذا طلب « عمَّارٌ » من حارِسِ المَزرعةِ ؟ وماذا قال الحِمارُ لنفسِه ؟

٧ - بماذا نصَح الحِمارُ للثَّوْرِ ؟

٨ - ما هى الحِيلةُ التى لجأ إليها الحِمارُ للخَلاصِ مِمَّا فيه ؟

٩ - لماذا عزَم الثَّورُ على تنفيذِ نصيحةِ الحِمار ؟

١٠ - ماذا أظهرت « أنوارُ » لزوجِها « عمَّار » حين أخبرها بنجاحِ حيلتِه ؟
وماذا طلبتْ منه ؟

١١ - ماذا فعلت « أنوارُ » لمَّا أخفَى عنها زوْجُها سِرَّ معرفتِه لحيلةِ الثَّوْرِ ؟

١٢ - ماذا طلب « ديكُ الدَّجاجِ » من الكلبِ « سَبْعِ الليلِ » ؟
وماذا صنع « ديكُ الدَّجاجِ » مع الدَّجاجات ؟

١٣ - ماذا دارَ بيْن الدِّيكِ والكلبِ من حديثٍ حوْلَ العُنْفِ واللُّطف فى المُعاملة ؟

١٤ - لماذا نقَرَ الدِّيكُ الدَّجاجَةَ ؟ وماذا قالَ له الكلبُ ؟ وبماذا نصَح له ؟

١٥ - لماذا كتَمَ «عمارٌ» السِّرَّ عن زوجَتِه «أنْوارَ» ؟
ولماذا طلبتْ منه ألا يَبُوحَ به ؟

١٦ - ما هى حقيقةُ السِّرِّ الذى كتَمَه «عَمَّارٌ» ؟ وماذا قالت له «أنوارُ» ؟

(رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٩١١١)


عَجائِبُ القِصَصْ
بقلم
كامل كيلاني
سلسلة
اللّحْيَة الزرقاء
السّاحر الأحْمر
جَعْبة الشّوك
حبيبُ الشّعْب
مدينةُ الزُّجاج
مُغامرات «نُونُو»
الكوميدْيا الإلهِيّة
إعداد: رشاد كيلاني
مطبعة الكيلاني تُطلب من : مكتبة الكيلاني
٢٢ شارع غيط العدة / باب الخلق
المتفرع من شارع حسن الأكبر
تليفون ٣٩١٨٥٩٨
٢٨ شارع البستان
باب اللوق
تليفون ٧٤٥٢٧٢